إضاءة على كتاب
(الجوف في عيون المصورين)

هنا جمال الجوف يحكي عن الجوف

يا حي والله من لفوا زايرينه

استهل الكتاب بإضاءة مختصرة عن تاريخ الجوف وقلعتة الحصينة، وموقعها الاستراتيجي، ومساحتها ومحافظاتها والمراكز والقرى التابعة لها، وما تحتويه من تراث وآثار ضاربة في عمق التاريخ، مكّنها لأن تكون حلقة وصل بين الحضارات، وطريقاً آمنا للقوافل، ونقطة انطلاق الرحالة الأجانب لعمق الصحراء وكأني بالكتاب يرحب بالقاريء مردداً:

هنا جمال الجوف يحكي عن الجوف

يا حي والله من لفوا زايرينه

اقلط هنا التاريخ ينسج لك حروف

حضارة تحكي عراقة سنينه

وضم الكتاب بين دفتيه أربعة أقسام رئيسية شكّلت أساسيات الصور في هذا الكتاب من:
(التراث والآثار) و (الطبيعة) و (الأنشطة الثقافية) و (الحياة الاجتماعية).
تناول القسم الأول (التراث والآثار) الأهمية التاريخية التي تحضى بها المنطقة في شتى مجالاتها التراثية والأثرية من قلاع حصينة وآثار رصينه ونقوش تكونت منذ عصور ساحقة، مثل آثار الرجاجيل، وقلعة مارد، ونقش الجمل، وفن العماره متمثلاً بمسجد ومئذنة عمر رضي الله عنه الذي جاء إلى الجوف طارداً للشرك:

يوم اشرقت للحق شمسٍ بلا كسوف
أسس عمر مسجد بها لمسلمينه

أما القسم الثاني فقد تناول الطبيعة في المنطقة فتعمد أن تكون الصور جاذبة للوهلة الأولى؛ حيث تقدم الصور الربيع في منطقة الجوف ومراعي الإبل لتبقى النفس مبتهجة عند التصفح مشتاقة للتي تليها بما لا يقل جمالاً عن السابق فكان للظباء والطيور والمحميات، نصيباً من ذلك، لتكون اللقطات مصدر جذباً وتشويق، لا سيما أزهار اليهق وشقائق النعمان التي حظيت بشهرة فيها وتغنى بها كثير من الشعراء في قصائدهم ومنهم الأمير محمد الأحمد السديري الذي قال:

متى تربع دارنا والمفالي
وتخضر فياض ٍ عقب ما هيب يياس
و نشوف فيها الديدحان متوالي
مثل الرعاف بخصر مدقوق الالعاس

ثم تنقلت بنا الصور بين الأشجار مثل: شجر الإرطى، ونقاء شجر الزيتون، وشموخ النخيل وكروم العنب. ومناظر أخرى خلابة للأمطار والثلوج والمكاشيت، مرورا ببحيرة دومة الجندل وجمالها الأخاذ ، والمسابقات والألعاب الرياضية فيها من طيران شراعي واستعراض الدبابات البحرية، وصولا إلى استخراج الملح من قريات الملح الذي كان في وقت مضى مصدر رزق للأهالي.

ومن جماليات الصور تلك التي عكست التطور والنهضة الصناعية والاقتصادية في المنطقة متمثلة في مشاريع الطاقة الشمسية، وطاقة الرياح، والمشاريع الزراعية في بسيطاء التي تعتبر من سلال غذاء المملكة.

أما القسم الثالث فكان عن الأنشطة الثقافية التي يقف في مقدمتها المتحف الإقليمي بدومة الجندل، ودار الجوف للعلوم التي تحتضن مكتبة قيّمة تحتوي على ما يزيد على (١٧٠٠٠٠) ألف كتاب وفيها قسم نسائي من المكتبة يعتبر أول مكتبة نسائية في المملكة.

وفي القسم الرابع فقد كانت الصور تحدّثك عن الحياة الاجتماعية مثل الشبة والقهوة السعودية وحلوة الجوف التي قالت عنها الرحالة الإنجليزية الليدي آن بلنت (إنه بالإمكان أن نستخلص أو نصنع منها السكر العادي).

كما استعرضت الاحتفالات والرقصات الشعبية في مناسبات اجتماعية أو وطنية، والمهرجانات مثل: مهرجان الزيتون ومهرجان التمور، وبعض الأنشطة الرياضية، ومنها: سباق الهجن وميادين الفروسية وكذلك الأعمال التقليدية اليدوية لنساء الجوف ومن اشهرها السدو .

يعتبر الكتاب بنوراما مصورة تتحدث بلغة الجمال البصري، عن منطقة الجوف، وهو في مجمله عملاً قيماً مهماً يعكس مافي المنطقة من جمال يؤهلها لأن تكون وجهة سياحية مستقبلية.

وهو بلا شك مبادرة متميزة من مركز عبدالرحمن السديري الثقافي في طبعته الأولى١٤٤٣هـ وكان له السبق فيها، وفي الجهود المبذوله من طاقم العمل حتى ظهر الكتاب متاحاً باللغة العربية والإنجليزية.

علماً أن الكتاب يحتاج إلى التوسع قليلاً في الصور؛ حيث إن هناك بعض المدن لم ينلها شرف الحضور في هذه النسخة، ولكن لنعذر اللجنة القائمة على الكتاب فلعل ضيق الوقت، حال دون ذلك، ونأمل أن يكون ذلك محل الاهتمام في الطبعة الثانية لتكون أعم وأشمل.

كتبه:
محمد بن حلوان الشراري
محافظة القريات